المحاضرة الرابعة : المحاقلة العلمية أو التقاطعات المعرفية

سنعني في هذا الجانب ببيان تلك العلاقات التي ينسجها الفكر السيميولوجي بالعديد من العلوم ،من خلال تقاطعه في أكثر من مرة عبر العامل المشترك الذي تتبني عليه السيميولوجيا الحديثة ألا هو العلامة.

وسوف نقف عند بعض العلوم التي وجدنا بها كما كبيرا من الشذرات المعرفية للسيميولوجيا كالفلسفة وعلم الدلالة وبعض العلوم الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس.

1-السيميولوجيا والفلسفة:

التأمل النقطة التي تنطلق منها الفلسفة في مباحثها المعرفية، ولأنه لابد للتأمل أن يصادف الأشياء ويحاول التعرف عليها بناء على السؤال والجواب وهذا كله لا يتم إلا عن طريق العلامات، "الإنسان دليل وخالق للدليل، وقد تمكن من وضع الدلائل والنظر إلى نفسه وإلى الكون وما فيه وإلى المتخيل كدلائل منذ أن تحرر من انبهاره أمام الأشياء واضعا لها تسميات .."[1]

يقول احمد يوسف أيضا في هذا المعنى "لا يمكننا أن نشك في الدعوى القائلة بأنه لا يمكن دراسة ظواهر الوعب بمعزل عن العلامات من حيث أن السيميائيات تضطلع بعملية إضفاء الخصيصة البنيوية على صور المعرفة وأشكال نظرية التعبير."[2]

إن هذا التحاقل الذي يتم بين السيميولوجيا مع الفلسفة من حيث التأمل يعضده دور آخر يتمثل في وضع أصول العلوم ضمن ما يعرف بفلسفة العلوم، فجون لوك الذي كان أول من استعمل مصطلح سيميوطيقا للدلالة على "العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل من خلالها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها.[3]

بالتالي نجد أن الفلسفة وجدت سبيلا لها في المضي قدما نحو المعرفة والبحث عن الحقيقة، والشك واحد من آليات البحث عنها، فاستخدمته المدرسة الشكية أولا ثم الرواقية بعدها الذين قالو باعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول الذي كان أول الاكتشافات السيميائية.[4]

الفلسفة أيضا علم مرتبط بالمنطق ارتباطا وثيقا فإن تجاور المنطق والسيميولوجيا كان تجاورا مثمرا تمخضت عنه العديد من المفاهيم السيميائية من جهة والمنطقية من جهة أخرى حيث يقول أحمد يوسف مثبتا هذه العلاقة : " إذا جاز لنا القول انظرنا إلى منطق أرسطو على أنه أحد الأسس الأولى في الإشارة إلى بوادر ما يمكن أن نطلق عليه الآن بفلسفة اللغة...أمكننا فهم العلاقة الوطيدة بين السيميائيات والمنطق.[5]

ويضيف في نفس السياق: "وإذا رمنا إعادة صوغ هذا السؤال صوغا سيميائيا هل سيتم نسق الفكر بمنأى عن العلامة الحاملة له؟ وهل يمكن مدارسة العلامة بعيدا عن محمولها إذا كانت حاملا له."[6]

فمفاهيم المحمول والموضوع تنسجم مع مفاهيم الدال والمدلول، كما أن مفاهيم النفي والاثبات والصدق والكذب مفاهيم العلامة كفيلة بالتدليل عليها وبيانها.

2-السيميولوجيا والألسنية:

ليس لأحد أن ينكر ولادة السيميولوجيا علم قائم بذاته أو على الأقل كنبوءة في كنف الدراسات اللسانية، بل وكان على طول تبلوره مصاحبا للغة في فكرها وفي فلسفتها.

فقد ارتبط ظهور السيميولوجيا عند دي سوسير من خلال القطيعة الابستيمولوجية التي احدثها في مجال الدراسات اللسانية.

لكن قبل ذلك أيضا ارتبط الفكر السيميولوجي بالعلامة اللغوية أيضا، فحتى المنطقية الأرسطية في الفلسفة اليونانية كان منطلقها لغويا حيث استوحى مبادئ منطقه من خصائص اللغة اليونانية.[7]

3- السيميولوجيا وعلم الدلالة العربي:

اهتم علماء اللغة الغرب والعرب بالعلامة اللغوية (الكلمة) في بحوثهم المختلفة وعنو بها أيما عناية قديما وحديثا، وخصوها بالدراسة في جوانبها المختلفة وكانت علم الدلالة هو المجال المعرفي الذي حظيت فيه اللفظة بالاهتمام.

وبالنظر إلى تعريف علم الدلالة الذي يورده " علم الدلالة هو العلم الذي يدرس المعنى" ومن خلال هذا المعنى نجد خط الاتفاق الموجود ضمنا بين بحوث علم الدلالة وبحوس السيميولوجيا من حيث أنهما بحث في دلالة العلامات وإن كانت الدلالة أخص بالعلامة اللغوية عن السيميولوجيا.

كما ان الدلالة تختلف عن السيميولوجيا في أن " علم العلامات يهدف لدراسة العلاقات بين الدالات والمدلولات. الدلالة لا تهتم إلا بالمدلولات ودلالات اللغات ومختلف أشكال التعبير والتواصل"[8]

واهتم العرب بالدلالة وأفردوا لها كتبا كثيرة، وقد انقسمت الدلالة عند العرب على ثلاثة اقسام

- الدلالة العقلية: وهي أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية تنقلهما من أحدهما إلى الآخر
- الدلالة الطبيعية: هي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه كأصوات البهائم وأصوات ارتطام الأشياء وغيرها من الأصوات والألفاظ التي تعبر عن الألم والسعال وغيرها.
- الدلالة الوضعية: وهي أن يكون بين الدال والمدلول علاقة الوضع كدلالة اللفظ على المعنى يقول الجرجاني: " جعل الشيء بإزاء شيء آخر بحيث إذا فهم الأول فهم الثاني" [9]

كما تمثلت اهتمامات اللغويين العرب في محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه مقاييس اللغة الذي ربط فيه بين المعاني الجزئية للمادة والمعنى العام الذي يجمعها

أما ابن جنّي في كتابه الخصائص الذي ربط فيه التقلبات الممكنة للمادة بمعنى واحد عبر اربعة أبواب مختلفة، والتي يظهر من خلالها اثباته "الكشف عن تلك العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها، ومن ثم مال إلى القول بوجود مناسبة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها، بل جعلها سرا من أسرارها العظيمة"[10]

1 – مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميائية المعاصرة، تر:حميد لحميداني وآخرين، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، دط، 1987 ، ص03.

2 – أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، (مرجع سايق)، ص 09.

3 – مارسيلو داسكال: الاتجاهات السيميائية المعاصرة، تر:حميد لحميداني وآخرين، (مرجع سابق)، ص03.

4 – فيصل الاحمر: معجم السيميائيات، (مرجع سابق)، ص 253.

5 – أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، (مرجع سابق)، ص 17.

6 – المرجع نفسه، ص 18.

7 – أنظر: أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة، (مرجع سابق)، ص 22.

8 – برنار توسان: ماهي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، افريقيا الشرق ، المغرب، دط، دت، ص 19.

9 – أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة (مرجع سابق)، ص ..

10 – مجدي ابراهيم ومحمد ابراهيم: بحوث ودراسات في علم اللغة، مكتبة النهظة العربية، القاهرة، دط، دت، ص 191.